مشهد «الفلسطينيون في إسرائيل»

رائف زريق

مدخل

يتناول التقرير الذي بين أيديكم ثلاثة مواضيع أساسية:

الأول هو موضوع **انتخابات السلطات المحلية العربية ونتائجها**. لقد وجدنا من المناسب في هذا الجزء ألاّ نكتفي باستعراض النتائج، فمهدنا لها بعرض مختصر لموقع السلطة المحليّة ومكانتها بشكل عام في إسرائيل، والسلطة المحليّة العربية وطبيعة علاقتها بالسلطة المركزية في الدّولة.

ويتناول الموضوع الثاني قضية أراضي النقب، وعلى وجه الخصوص مخطط «برافر»، وما تبعه من حملات احتجاج شعبية لإسقاطه. في هذا السياق، يشكّل تقرير «برافر» نموذجًا لاستيلاء الدولة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية، في حين يعتبر الاحتجاج عليه نموذجًا للعمل الشعبي، أظهر أهمية التضامن بين فئات الشعب الواحد، وأهمية ابتكار أشكال احتجاجية خلاّقة ومؤثرة. وإذا كان من المبكر القول إن الاحتجاجات قد نجحت في إسقاط المخطط، يمكن القول إنها استطاعت أن تجمّد تنفيذ المخطط في هذه المرحلة.

الجزء الثالث والرابع لا يتعاطى مع حدث عينيّ في السنة المنصرمة، إنما يرصد توجهات تحصل في عمق المجتمع الفلسطيني في الداخل. اخترنا في هذا الجزء من التقرير معالجة قضيّتين: الأولى هي وضع **الحركة الطلابية الفلسطينية** في الجامعات الإسرائيلية، وبعض التحوّلات فيها، وعلاقتها بالحركة الشبابية عمومًا، لتصاعد أهمية هذا الحراك واستقلاليته النسبية الآخذة في الازدياد إزاء العمل الحزبي السياسي.

أما القضية الثانية فهي رصد **الفضاءات الثقافية والفنية** في الداخل. يمكننا في

هذا السياق أن نرصد نشاطًا متزايدًا في مجال الموسيقى مثلاً، سواء في الأطر التي تعنى بتدريس هذا الفنّ أم في العروض العامّة. ويمكننا القول، وبحذر شديد، إنّ بعض الطاقات الفنيّة التي كانت تجد متنفّسًا إبداعيًا لها في السياسة، تجد بل تخلق مساحات جديدة لها في الإبداع الفني. ومن باب الأمور العارضة، ولكن المهمّة، هو الصعود في أهمية حيفا، كفضاء عربي يحتضن نشاطًا شبابيًا فنّيًا وسياسيًا. فحيفا، دون غيرها احتضنت المظاهرة الكبرى في النضال ضد مخطط برافر، ما يؤشر إلى عودة حيفا كمدينة عربية أو ذات حضور عربي بارز. هنا أيضا يمكننا التحدث عن الفضاء الفني الثقافي باعتباره حيزا آخذا في التبلور ضمن استقلالية نسبيّة عن العمل السياسي الحزبي.

احتضنت حيفا، دون غيرها المظاهرة الكبرى في النضال ضد مخطط برافر، ما يؤشر إلى عودة حيفا كمدينة عربية أو ذات حضور عربي بارز. هنا أيضا يمكننا التحدث عن الفضاء الفني الثقافي باعتباره حيزًا آخذًا في التبلور ضمن استقلالية نسبيّة عن العمل السياسي الحزبي.

بيد أنه من المهم الإشارة إلى بعض الأمور التي أسقطها التقرير باعتبار أنها صيرورات حاصلة ما تزال في أوجها، وتصلح أن تكون مواضيع التقرير القادم. أولاها هي ظاهرة العودة إلى الحديث عن تجنيد العرب المسيحيين في الداخل. تبدو المحاولة هذه المرة كفكيّ كماشة تحاول أن تطبق على المجتمع الفلسطيني في الداخل: فهناك الحديث في أروقة السياسة على ألسنة بعض أعضاء الكنيست وأوساط مقرّبة من حكومة نتنياهو، وهناك استنطاق بعض الأصوات العربية المحلّية للترحيب بهذه الدعوات. ممّا لا شك فيه أنّ هذا الموضوع سيشغل الشارع العربي في السنة القريبة.

ثاني المواضيع المهمة التي أسقطها هذا التقرير هو موضوع فلسطينيي الداخل في ظلّ مفاوضات الحل الدائم والجارية حاليًا. قد تكون السّمة المميزة والأساسية في هذا المضمار هي الصّمت النّسبي في الداخل تجاه المفاوضات عمومًا، ربما باستثناء الجانب المتعلق بالتبادل السّكاني الذي عاد وطفا على السّطح، وسيأخذ حيّز نقاش أوسع في الحلبة السياسية والشعبية مستقبلاً، وفي تقريرنا القادم أيضًا.

١. الحكم المحلي والانتخابات المحلية

- **حول الحكم المحلي**

شكلت انتخابات السلطات المحلية العربية لرئاسة السلطات والعضوية فيها أحد الأحداث المهمة والمركزية في السنة المنصرمه. سوف أغطي لاحقا نتائج هذه الانتخابات وإنعكاساتها، لكن من الضروري بدأية إعطاء لمحه حول الحكم المحلي في إسرائيل عموما، والحكم المحلي في السلطات العربية بشكل خاص.

وصل عدد السلطات المحلية العربية في إسرائيل حتى عام ٢٠١٠ إلى ٧٥ سلطة محلية، أما العدد الإجمالي للسلطات المحلية في إسرائيل هو ٢٥٤ سلطة.

يمكن القول بشكل عام إن الحكم المحلي في إسرائيل لا يحظى بصلاحيات كبيرة، أي أن النظام السياسي والحقوقي في الدولة هو نظام مركزي يبقي الصلاحيات الأساسية

في أيدي السلطة المركزية، إن كانت الحكومة أو هيئات سياسية قطرية، ما يجعل هامش الصلاحيــة المعطى للحكم المحلي محدودا جداً. إســرائيل ليســت مجموعة مقاطعات أو أقاليم إنما تعتبر وحدة سياســية واحدة في معظم الأمور الإدارية والسياسية القانونية. والحكــم المحلي مرتبط ارتباطا وثيقــا بوزارة الداخلية الإســرائيلية، ولدى هذه الأخيرة صلاحيات كثيرة عندما يتعلق الأمر بالحكم المحلي تصل إلى حدّ تعيين لجان تدير شؤون السلطات المحلية في حالة اتضح للوزير أن السلطة المحلية لا تدير شؤونها بشكل ناجح، أو أنهــا دخلت في عجز اقتصادي. هذا يدل على نوع من التراتبية التي تبقي الوزير في معظم الأمور الإدارية في قمة الهرم الإداري والقانوني.

يشكل الدعم الحكومي حوالي ٦٩٪ من ميزانية السلطة المحلية العربية في المعدل العام.

وصل عدد الســلطات المحلية العربية في إســرائيل حتى عام ٢٠١٠ إلى ٧٥ ســلطة محليــة، أما العدد الإجمالي للســلطات المحلية في إســرائيل هو ٢٥٤ ســلطة.[١] تتوزع الســلطات المحلية العربية كالتالي: ٦٠ مجلســا محليا، ١١ بلديــة و٤ مجالس إقليمية،[٢] ولا تتعدى مســاحة نفوذها مجتمعة ٢,٥٪ من مســاحات النفوذ في الدولة، ولا يختلف الأمــر كثيرا فيما يتعلق بالمناطق الصناعية، إذ إن ٢,٤٪ فقط من المناطق الصناعية في إسرائيل موجودة داخل نفوذ مناطق عربية.[٣]

وتبــدو الصورة أكثر قتامة عندما يجري الحديث عن مبالــغ الأرنونا (ضريبة البلدية) التي تجبيها الســلطات العربية، إذ يتضح أن الســلطات العربية تجبي ما يعادل ١,٦٪ فقــط من مبالغ الأرنونا التي تتم جبايتها في إســرائيل، وحين يدور الحديث عن الأرنونا التــي تتــم جبايتها من المناطق والمرافق الصناعية على وجه التحديد فإن نســبة الأرنونا تصل الـ ١٪ فقط.

ولا تتعدى نســبة الأرنونا المفروضة على المؤسســات الحكومية داخل البلدات العربية ٠,٢٪ من مجمل المبالغ التي تدفعها الدولة للسلطات المحلية في إسرائيل عموما.[٤]

تتكون ميزانية أي ســلطة محلية من شــقين أساسيين، شق مكون من الأرنونا المحلية وشــق من موازنات حكوميــة، وإن كانت هناك ميزانيات اســتثنائية من مصادر أخرى. في حالة الســلطات العربية فإن الدعم الحكومي يشــكل حوالي ٦٩٪ من ميزانية السلطة المحليــة العربية في المعدل العام، أي أن هناك اعتمادا شــبه مطلق على الدعم الحكومي المباشر. بالمقارنة مثلا، فإن الدعم الحكومي المباشر لميزانية بلدية تل أبيب لا يتعدى ١٤٪ مــن مجمل الميزانية، بينما بقيــة الميزانية تتكون من الأرنونا البلدية ومصادر دعم أخرى، ما يتيح هامش مناورة أكبر واســتقلالية نســبية للبلدية مقابل وزارة الداخلية والحكومة بشكل عام.[٥] هذا لا يعني أن الدولة لا تدعم السلطات المحلية اليهودية بل بالعكس، فأنها تدعمها بشكل غير مباشــر عن طريق تأمين المناطق الصناعية التي تؤهل هذه السلطات

طريقة انتخاب السلطة المحلية ورئيسها هي طريقة ديمقراطية مباشرة، إذ ينتخب السكان القاطنون في منطقة نفوذ السلطة، رئيس السلطة المحلية مباشرة، وينتخبون معه المجلس البلدي أيضا.

لجباية مبالغ أرنونا عالية، وكذلك عن طريق الأرنونا على المباني الحكومية، وإما عن طريق مصادر دعم من مؤسسات يهودية.

إلا أنه مقابل هذا الاعتماد شبه المطلق للسلطات المحلية العربية على الحكم المركزي – والسلطات الأخرى بشكل أقل – في ما يتعلق بقضية الميزانيات، فإن طريقة انتخاب السلطة المحلية ورئيسها هي طريقة ديمقراطية مباشرة، إذ ينتخب السكان القاطنون في منطقة نفوذ السلطة، رئيس السلطة المحلية مباشرة، وينتخبون معه المجلس البلدي أيضا، مع العلم أن معظم الصلاحيات معطاة لرئيس البلدية.

فعليا، يضع هذا الحال رئيس السلطة المحلية في حالة حصار: فمن ناحية هو منتخب من قبل الجمهور مباشرة ومطالب من قبل الجمهور الذي قام بانتخابه بتقديم خدمات متعددة، لكنه في المقابل مكبل اليدين لأن الجسم الذي يمنحه الصلاحيات والميزانيات هو وزارة الداخلية. أي في واقع الأمر فإن وزارة الداخلية هو الجسم الحقيقي الذي يقرر مصالح كل بلدة وبلدة، لكنه يضع جسما محليا منتخبا في الواجهة كي يشرح لجمهور المواطنين المحدوديات في الميزانيات والخدمات، لتتحول السلطة المحلية العربية إلى منطقة عازلة بين الجمهور العربي من ناحية وبين وزارة الداخلية والحكومة المركزية من ناحية أخرى، حيث أنه منوط بالسلطة المحلية امتصاص غضب الجمهور المحلي، في حين أن صلاحيات هذه السلطات محدودة أصلا. إن هذا النموذج من التعاطي مع الفلسطينيين في إسرائيل قد يكون مقدمة ونموذجا تم تطويره لاحقا من أجل التعامل مع الفلسطينيين في الضفة الغربية ومع السلطة الفلسطينية، حيث تبقى الصلاحيات الفعلية والسيطرة على الموارد في يد السلطة الإسرائيلية، بينما يناط بالسلطة المحلية التعاطي مع غضب السكان المحليين.

ومما يدل على هشاشة دور السلطة المحلية ومدى تعلقها بوزارة الداخلية، هو حقيقة كون كل واحد من ٥ سلطات محلية عربية قد جرى حلها وتعيين لجنة معينة بديلة لإدارتها نتيجة لوضعها الاقتصادي، ولسوء الإدارة.[٦]

إلا أنه بالرغم من الصلاحيات المحدودة، وضيق الميزانيات، تبقى السلطات المحلية موقعا مهما بالنسبة للمواطنين العرب يجذب إليه الكثير من الطاقات والفاعلين والناشطين، وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة المشاركين في انتخابات السلطات المحلية تتجاوز ٨٠٪ وتصل أحيانا إلى ٩٠٪، فيما تقارب نسبة المشاركين في انتخابات الكنيست ٥٠٪ – ٦٠٪.[٧] ويعود هذا الاهتمام بالسلطات المحلية إلى غياب مراكز القوى التي يستطيع المواطن العربي أن يصل إليها ويشارك في إدارتها، ففي ظل سياسة اقتصاد واضحة وعنصرية ومثابرة على المستوى القطري لا يبقى للنخب الاقتصادية والأكاديمية سوى

بالرغم من الصلاحيات المحدودة، وضيق الميزانيات، تبقى السلطات المحلية موقعا مهما بالنسبة للمواطنين العرب يجذب إليه الكثير من الطاقات والفاعلين والناشطين. وتتجاوزنسبة المشاركين فيها ٨٠٪ وتصل أحيانا إلى ٩٠٪، فيما تقارب نسبة المشاركين في انتخابات الكنيست ٥٠٪ - ٦٠٪.

هناك الكثير من أعضاء الكنيست والقيادات القطرية الذين بدأوا طريقهم السياسي باعتبارهم قادة محليين انتخبوا ليقودوا سلطات محلية، نذكر من بينهم: توفيق زياد، هاشم محاميد، حنا سويد، واصل طه، مرشد سليم والشيخ رائد صلاح.

السلطة المحلية بصفتها مركز قوة اجتماعيا وسياسيا محليا، ومصدر دخل وتشغيل لكادر جديد من الأكاديميين الجدد. يضاف إلى ذلك حقيقة كون رئاسة السلطة المحلية عبارة عن تذكرة للانتقال للعمل السياسي القطري.

هناك الكثير من أعضاء الكنيست والقيادات القطرية الذين بدأوا طريقهم السياسي باعتبارهم قادة محليين انتخبوا ليقودوا سلطات محلية، نذكر من بينهم: توفيق زياد، هاشم محاميد، حنا سويد، واصل طه، مرشد سليم والشيخ رائد صلاح. على أي حال فإن طبيعة العلاقة بين السياسة المحلية التي تقوم على اعتبارات فئوية، عائلية نفعية، والسياسة الوطنية القطرية، والتأثير المتبادل بين الممارستين لهو موضوع يستحق البحث والدراسة. مما لا شك فيه بأن وجود قيادات قطرية نمت ونشأت من خلال عمل ميداني محلي من شأنه أن يعطي السياسة ويغذيها بمواد ومعلومات عينية حول وضع المواطن العربي ومشاكله العينية على المستوى اليومي، لكن من ناحية أخرى يمكننا أن نلاحظ أن هناك بعض الإشكال في تحويل القيادة القطرية الوطنية إلى مجموعة من القيادات المحلية التي تنظر إلى الصراع نظرة محلية ضيقة، مشغولة ومسكونة بهواجس يومية مباشرة، وقد يكون من المفيد إجراء فصل معين بين المستويات المختلفة للعمل، وأن كان هناك بعض الإشكال نتيجة حصول فصل كهذا.

تعتبر انتخابات السلطات المحلية واحدة من الأحداث السياسية التي تنشغل بها الأقلية الفلسطينية بشكل كبير

انتخابات السلطات المحلية

تعتبر انتخابات السلطات المحلية واحدة من الأحداث السياسية التي تنشغل بها الأقلية الفلسطينية بشكل كبير، ويعود هذا بشكل أساسي لدور السلطة وعملها في مجال الخدمات المباشرة للأفراد في البلدات والقرى العربية، كما لشعور المواطنين العرب في الداخل بانعدام قدرتهم على التأثير في السياسات العامة للدولة، وينعكس هذا الاهتمام أيضا على نسبة التصويت التي وصلت في الانتخابات الأخيرة إلى ما يقارب الـ ٩٠ ٪.

من الأمور اللافتة في معركة الانتخابات للسلطات – على الأقل في الكثير منها إن لم يكن جميعها – هو الدور الذي تلعبه الانتماءات العائلية والحمائلية

من الأمور اللافتة في معركة الانتخابات للسلطات – على الأقل في الكثير منها إن لم يكن جميعها – هو الدور الذي تلعبه الانتماءات العائلية والحمائلية، وتعود الأسباب تاريخيا إلى سبل إنشاء السلطات المحلية وإلى الدور الذي لعبته الأحزاب الصهيونية في منافستها على أصوات الأقلية العربية منذ قيام الدولة.[٨] إذ إن الأحزاب الصهيونية كانت معنية بتوظيف البنى العائلية الموجودة لتحقيق إنجازات انتخابية وتعاملت مع القرى العربية كمخازن أصوات لها ولمرشحيها. مع دخول الأحزاب السياسية العربية المعركة الانتخابية المحلية فإنها، وكما يشير بروفسور أسعد غانم في مقابلة معه نشرت في موقع

«بكرا»،[٩] نجحت في إحداث تغيير وفرض خطاب ينادي بالمصلحة العامة بين الفلسطينيين من أجل مواجهة سياسة الدولة، وفي مراحل معينة دخلت الأحزاب في مواجهة مع هذه البنى العائلية التقليدية، لكنها لم تنجح في الحد من هذه الظاهرة، بل على العكس هناك من يرى أن أنماط مشاركة الأحزاب عززت من هذه الظاهرة.[١٠]

شهدت الانتخابات الأخيرة بروز أنماط التصويت العائلية وانحسار في قوة الأحزاب وهيبتها وفي الخطاب السياسي العام، مقابل الخطاب المحلي والفئوي.

وقد شهدت الانتخابات الأخيرة استمرارا لهذه الظاهرة، وبروز أنماط التصويت العائلية وانحسار في قوة الأحزاب وهيبتها وفي الخطاب السياسي العام، مقابل الخطاب المحلي والفئوي. وهذا ما تؤكده، أيضا، نتائج استطلاع حول أنماط التصويت، أجراه مدى الكرمل،[١١] حيث أظهرت إحدى النتائج أن غالبية المستطلَعين (٥٦,١٪) يعتقدون أن الدافع الرئيسي والأكثر تأثيرًا على اختيار الناس لمرشح الرئاسة هو الإنتماء العائلي، بينما يشكل الانتماء الحزبي الدافع لدى ٢٢,٩٪ فقط من المصوتين.

ويكتب بروفسور غانم حول استمرار هذه الظاهرة في الانتخابات المحلية الأخيرة أن ما حصل يوم الانتخابات ليس بحدث استثنائي، وإنما استمرار لسيرورة تردي العمل السياسي في مجتمعنا، بدأت منذ أكثر من عقدين. وتعود هذه الظاهرة، بين ما بين ما تعود، بحسب رأيه إلى استعمال الأحزاب جزءا من المباني التقليدية في المجتمع، عبر بناء تحالفات محلية، لتصل سريعا إلى السلطة ولتستفيد من القربى مع العائلات والطوائف. وبذلك فإنها زرعت بذور تراجعها حاليا، وهزيمتها السياسية.[١٢]

وقد شهدت الانتخابات أيضا ظاهرة مهمة هي انسحاب الحركة الإسلامية من انتخابات بلدية أم الفحم.

لقد جاء هذا الانسحاب استمرارا لانسحاب الحركة الإسلامية/ الشق الشمالي من انتخابات السلطات المحلية في السابق، يجري الحديث عن سيرورة بدأت منذ السنوات عديدة، لكنها برزت في الانتخابات السلطات المحلية الأخيرة، بشكل خاص، في إعلان الحركة عدم ترشحها للانتخابات في مدينة أم الفحم والتي تعتبر مقرها الأساسي وموطن نشوئها في الداخل. وقد كانت في رئاسة بلديتها لمدة تزيد عن العشرين عاما. ويشير الباحث نهاد علي[١٣] إلى أن بعض الباحثين المختصين في الحركة الإسلامية في إسرائيل يحلل هذا الانسحاب على أنه تعبير عن استمرار في راديكالية هذا التيار، وأنها امتداد وتماش مع موقفه بعدم خوضه الانتخابات العامة للكنيست، وبعدم اعتراف قياداته بدولة إسرائيل. أما الجزء الآخر من الباحثين فينتقد، برأيه، المجموعة الأولى، ويعتقد أن لا خلفية أيديولوجية في هذا القرار، الذي يعود إلى ضعف الحزب، ولو بشكل مؤقت، وذلك بسبب عزوف الجمهور العربي الفلسطيني عن الحزب بسبب «تطرفه» واعتقال قائده الشيخ رائد صلاح. أما المجموعة الثالثة، والتي يمثلها علي نفسه، فتشير إلى أن السبب

شهدت الانتخابات أيضا ظاهرة مهمة هي انسحاب الحركة الإسلامية من انتخابات بلدية أم الفحم. جاء هذا الانسحاب استمرارا لانسحاب الحركة الإسلامية/ الشق الشمالي من انتخابات السلطات المحلية في السابق.

لوقف مشاركة الشق الشمالي للحركة الإسلامية في انتخابات السلطات المحلية يعود إلى أسباب دينية –أصولية ، كون الانشغال في السياسة وفي المعركة الانتخابية للسلطات المحلية أشغل الحركة عن هدفها المركزي وهو أسلمة الجماهير.

وقد أثار انسحاب الحركة الإسلامية ردود فعل مثقفين من البلد، وخاصة في إطار تأثير الانسحاب على تركيبة السلطة المحلية وتغليب العائلية والحمائلية فيها. وأكد عدد من المثقفين أن انسحاب الحركة الإسلامية يعيد العائلية والحمائلية للمشهد الانتخابي في أم الفحم، مشهدا كانت قد تغلبت عليه أم الفحم في العقدين المنصرمين أو على الأقل كادت تتغلب عليه. كما وشهدت الحركة نقدا حول قوتها وتنظيمها، وخاصة فيما يتعلق بعدم قدرتها على استقطاب قيادات شابة بين صفوفها. [١٤]

تشهد نتائج الانتخابات تراجعا في قوة وتمثيل الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في السلطات المحلية إذ خسر مرشحوها للرئاسة في عدد من المجالس المحلية، وتراجع تمثيلها في العضوية في بعض من المجالس المحلية.

مشاركة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة والتجمع الوطني الديمقراطي في الانتخابات

واصلت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة المشاركة في الانتخابات المحلية، وأكثر ما يميزها أنها تشارك بشكل عام في قوائم تحمل اسم الحزب وشارته، وقد استمرت هذا العام في خوضها الانتخابات بقائمة حزبية في أكثر من ٣٠ موقعا. ودخلت بتحالفات أهلية في عدة بلدات. كما دخلت في تحالفات مع التجمع الوطني الديمقراطي في كل من الرامة، نتسيرت عيليت، وفي جسر الزرقاء.

تشهد نتائج الانتخابات تراجعا في قوة وتمثيل الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في السلطات المحلية إذ خسر مرشحوها للرئاسة في عدد من المجالس المحلية (عرابة، طمرة، دير حنا، عيلبون ودير الأسد)[١٥] وتراجع تمثيلها في العضوية في بعض من المجالس المحلية. وقد أشار بعض القادة والناشطين في الحزب إلى أن نتائج الانتخابات المحلية تعتبر تراجعا خطيرا وضربة قاسية،[١٦] وأكد الكثيرون منهم على أن هناك حاجة ماسة لمراجعة أسباب هذا التراجع، وأن الحزب يمر في أزمة جديّة تتلخص في: ضعف تنظيمي، عدم إبراز الخصوصية الفكرية للحزب والفروق الجوهرية بين الحزب وباقي المتنافسين، وتقصير في زيادة العلاقة بين الحزب والجمهور، ليس فقط خلال معارك الانتخابات بل على مدار الأيام، كما جاء في مقال لأمين عام الحزب الشيوعي الإسرائيلي محمد نفاع.[١٧] وقد أقرت اللجنة المركزية للحزب عقد مؤتمر قطري استثنائي لمناقشة نتائج السلطات المحلية والانتخابات المركزية التي شهدت أيضا تراجعا ما في قوة الحزب.

نافس التجمع الوطني هذا العام في ٢٢ بلدا وبلدة، في ١١ منها تنافس بقائمة حزبية تحمل اسم الحزب وشارته وفي مواقع أخرى ائتلف في قوائم أهلية محلية.

أما فيما يتعلق بالتجمع الوطني، فيبرز أنه مستمر في اشتراكه في الانتخابات المحلية، وقد نافس هذا العام في ٢٢ بلدا وبلدة، في ١١ منها تنافس بقائمة حزبية تحمل اسم

الحزب وشـــارته وفي مواقع أخرى ائتلف في قوائم أهلية محلية. كما تنافس التجمع على رئاســـة كل من المدن والبلدات العربية التالية: الناصرة، حيث ترأست النائبة حنين زعبي القائمة الأهلية للرئاســـة، وفي كفر كنا خاض رئيس التجمع الوطني الديمقراطي، واصل طه، معركة الرئاســـة، وفي كل من مجد الكروم وكابول تنافس باســـم الحزب مســـتعملا شـــارته. وبالإضافة لخوض الانتخابات للرئاســـة في قوائم باســـم التجمع، دعم التجمع الوطني الديمقراطي تحالفات محلية ومرشحي رئاسة في عدد من البلدات.[١٨]

نجحت قوائم التجمع للعضوية في عشرين موقعا، في حين لم يحصل على أي تمثيل في كل من يافا ومجد الكروم. حصل التجمع على تمثيل لأول مرة في ثمانية مجالس محلية، وحافـــظ على تمثيل له في ما يقارب عشـــرة مجالس محلية، وإن كان خســـر في بعضها من عدد الممثلين. أما فيما يتعلق في نتائج الرئاســـة فقد خسر مرشحوه للرئاسة في كافة المواقـــع التي ترشـــحوا بها بما فيها الناصرة ، وكفركنا بينمـــا فاز حلفائهم في كل من الطيرة، سخنين، عرابة، شفاعمرو وأم الفحم. بالمجمل اعتبر التجمع في زيادة عدد ممثليه في السلطات المحلية زيادة في قوته في الساحة المحلية.[١٩]

نجحت قوائم التجمع للعضوية في عشرين موقعا، في حين لم يحصل على أي تمثيل في كل من يافا ومجد الكروم؟

على الرغم من أن نتائج الانتخابات تشير إلى زيادة ما في تمثيل التجمع في السلطات المحلية في الانتخابات الأخيرة، إلا أن عدم نجاح ممثليه، ومن بينهم أبرز قياداته كما في كفر كنا والناصرة، في رئاســـة المجالس المحلية، ومشـــاركته في نصف المواقع بائتلافات محليـــة، ما هي إلا تأكيد مجدد على تراجع في قوة الأحزاب، وعلى اســـتمرار في تردي الخطاب السياسي مقابل زيادة في هيمنة العائلي والمحلي.

النساء في انتخابات السلطات المحلية

شـــهدت المعركة الانتخابية حراكا نشطا في الأوســـاط الحزبية والجماهيرية النسائية والنســـوية لدعم تمثيل النساء، فعلى ســـبيل المثال قام ائتلاف جمعيات نسائية وحقوقية بالإعـــلان عن حملة «المجتمع مع» لدعم تمثيل أعلى للنســـاء في الســـلطات المحلية، وقام اتحاد المرأة التقدمي بإطلاق عريضة لضمان تمثيل لائق للنســـاء في انتخابات السلطات المحلية، وقد انعكس هذا في المعركة الانتخابية التي شـــهدت نشـــاطا نسائيا بارزا . كما ويذكر أن موضوع تمثيل لائق للنساء في السلطات المحلية كان قد وضع في قانون تقدمت بـــه النائبة زعبي مرتين، الأولـــى في الدورة المنصرمة ولم يوافق عليه، أما المرة الثانية فقد صودق عليه في القراءة الأولى في حزيران ٢٠١٣.

شهدت المعركة الانتخابية حراكا نشطا في الأوساط الحزبية والجماهيرية النسائية والنسوية لدعم تمثيل النساء.

وتشير معطيات «ائتلاف الجمعيات من أجل تمثيل نساء في السلطات المحلية» إلى أن ١٦٥ امرأة تنافســـن في قوائم العضوية في ٤٤ ســـلطة محلية عربية من أصل ٧٣، ٩٢

منهن في الأماكن ١–٥[٢٠]، فيما ترشحت امرأة واحدة لرئاسة بلدية.[٢١] ترشحت امرأتان في رئاسة قوائم في كل من سخنين وكفر قاسم، وترشحت ١٩ امرأة للمقعد الثاني في القائمة، ٢٤ للمقعد الثالث، ٢٣ للرابع، و ١٤ للخامس. ٣٤ من النساء يسكنّ فيما يسمى «المدن المختلطة». وقد ساهم الإعلام في إبراز دور المرأة وفي تشجيعها على أخذ دور فعال في المعركة الانتخابية، وكتب أحد الصحافيين أن حاجز الخوف الوهمي قد تحطم، وأن مشاركة النساء في السلطات المحلية ستعود بالفائدة على جميع شرائح المجتمع.[٢٢]

امرأة تنافسن في قوائم العضوية في ٤٤ سلطة محلية عربية من أصل ٩٢،٧٣ منهن في الأماكن ١-٥، فيما ترشحت امرأة واحدة لرئاسة بلدية.

على الرغم من وجود نساء في كثير من القوائم وفي أماكن متقدمة بالقوائم، إلا أن عدد القوائم الكبير في كل بلد أثر على توزيع الأصوات، وحصلت القوائم على عدد قليل نسبيا من الأصوات، الأمر الذي منع دخول العديد من النساء. ونتج عن هذا أن ٦ نساء فقط دخلن كممثلات في السلطات المحلية العربية، (واحدة في عيلبون، أربع في الناصرة، واحدة في سخنين).

وعلى صعيد آخر، تشير أبرز النتائج إلى أن ٧٢٪ من رؤساء السلطات المحلية الفائزين جدد، وفقط ٢٨٪ منهم قدماء [٢٣] وهذه نتيجة ملفتة للنظر تشير إلى حالة استياء مستمرة من منتخبي الجمهور، إلا أن هذا التقلب في قيادة السلطة المحلية بوتيرة عالية قد تكون له نتائج سلبية بسبب عدم إمكانية الاستمرار في قيادة السلطة المحلية لفترة طويلة.

٢. مخطط برافر والصراع على أراضي النقب

- **خلفية تاريخية ومفهومية**

لفهم طبيعة الصراع القانوني على أراضي النقب بين دولة إسرائيل وبين العرب البدو الذين يقيمون فوق أرض النقب وصحرائها، لا بد من فهم بعض المفاهيم الأساسية في قانون الأرضي التركي والانكليزي الذي سبق قيام دولة إسرائيل. وإن كان هذا الفهم القانوني ضروريا لفهم الشكل القانوني الذي يتخذه النزاع على الأرض، لكنه ليس ضروريا لفهم أهداف الحكومة الإسرائيلية والتي تحددها مصالحها القائمة على الاستيلاء على أكبر مساحة من أرض فلسطين.

تشير أبرز النتائج إلى أن ٧٢ ٪ من رؤساء السلطات المحلية الفائزين جدد، وفقط ٢٨٪ منهم قدماء.

تقسّم الأراضي بموجب نظام الأراضي العثماني إلى عدة أنواع: ملك، متروكة، وقف ميري وموات. والأراضي المتروكة حسب القوانين العثمانية هي الأراضي التي تبعد مسافة معينة (مسافة ٢,٥ كم أو مسافة التي يصلها صوت إنسان يقف على أطراف القرية – أرض الميري) عن أطراف المسطحات السكنية.

وأيام الفترة العثمانية كانت هذه الأراضي تابعة للدولة العثمانية، لكن كان من الممكن لكل

من يفلح الأرض أو يستعملها لفترة معينة أن يدعي فيها حقوقا توازي حقوق الملكية، وبالتالي لا خلاف أنه بموجب النظام القانوني العثماني فإن بدو النقب الذين استعملوا هذه الأرض على مدى سنوات قد أسسوا حقوقا قانونية في الأرض. لكن الحجة القانونية الأساسية التي تتذرع بها الدولة تعود إلى أمر انتداب بريطاني يعود إلى عام ١٩٢١ والذي بموجبه فإن كل من كان يستعمل هذه الأراضي كان عليه أن يقوم بطلب تسجيلها خلال فترة محددة جدا، كي يتم نقلها على اسمه، كي يثبت حقوق الملكية عليها، أما إذا استعملها وفلحها بعد عام ١٩٢١ بدون طلب إذن رسمي وخطي من حكومة الانتداب فإن فلاحتها واستعمالها غير كافيين لاستملاك الأرض، وبالتالي تدعى الحكومة الإسرائيلية أن هذه الأرضي في واقع الأمر هي أراضي دولة، باعتبار أن دولة إسرائيل ورثت الانتداب البريطاني والذي بدوره ورث الدولة العثمانية، وعليه، فلا حقوق ملكية لبدو النقب على هذه الأرض.

أسس بدو النقب، بموجب النظام القانوني العثماني، عبر استعمالهم الأرض على مدى سنوات، حقوقا قانونية عليها.

وتشير دراسة قام بها أورن يفتاحئيل من جامعة بن غوريون حول تاريخ الأراضي في النقب[٢٤] إلى أن الشركة لتأهيل الاستيطان، وهي شركة يهودية كانت تعني بمسح الأراضي وإعدادها لمشاريع استيطانية، قد قامت عام ١٩٢٠ بمسح عام لأراضي النقب محاذية لمدينة بير السبع والتي تبلغ مساحتها ٢,٦٦ مليون دونم، وقد وصلت إلى نتيجة مفادها أن البدو يملكون ويسيطرون على حوالي ٣٥ ٪ من هذه الأراضي ويفلحونها، ما يدل على أن الحكومة الصهيونية وأذرعها الاستيطانية كانت تعي وتعرف أن هذه الأراضي تابعة للبدو، وأفضل إقرار بهذه الملكية هو أن مؤسسات يهودية قامت بشراء أراض في منطقة النقب من قبيلة العطاونة وذلك لبناء كيبوتس «روحاما» عام ١٩١٣ .[٢٥] زد على ذلك فإن الأراضي التي تم بيعها لليهود والتي تبلغ مساحتها حوالي ٦٥،٠٠٠ دونم قد جرى تسجيلها في الطابو على اسم أصحابها اليهود، ما يشكل اعترافا بأنه تم شراء هذه الأراضي من أصحابها الأصليين، إذ إن الدولة البريطانية الانتدابية لم تطالب بثمن هذه الأراضي، إنما اعتبرتها ملكا لأصحابها البدو، ووافقت السلطات الانتدابية على نقل هذه الملكية في سجلات الأراضي.[٢٦]

قدر عدد البدو مع قيام دولة إسرائيل بحوالي ٨٠ ألفا جرى طرد أغلبيتهم وترحيلهم عن أراضيهم وبقي حوالي ١١،٠٠٠ منهم فقط.

مع قيام دولة إسرائيل قدر عدد البدو بحوالي ٨٠ ألفا جرى طرد أغلبيتهم وترحيلهم عن أراضيهم وبقي حوالي ١١،٠٠٠ منهم فقط، وبدأت إسرائيل بعمليات مصادرة واستيلاء واسعة على الأراضي. بالرغم من ذلك، جرى الإعلان خلال سنوات السبعين من القرن الماضي، عن منطقة النقب كمنطقة تسوية بموجب قانون التسوية الإنكليزي والذي مرّ بصياغة مجددة من قبل المشرع الإسرائيلي. وتجري ضمن عملية التسوية دعوة كل من يدعي أن لديه أي نوع من حقوق الملكية أن يقدّم دعوته إلى قاضي التسوية كي يتم البحث في طلبه. جرى ضمن مشروع التسوية هذا تقديم ٣،٢٢٠ دعوى قضائية لاستعادة

أراضـــي البدو. لم تنظر المحاكم الإســـرائيلية إلا في بضع مئـــات من هذه الدعاوى وفي معظمهـــا جرى رفض الدعاوى المقدمة، لكن الحقيقة تبقى أنه في معظم القضايا الأخرى (أكثـــر من ٨٠٪ منهـــا) جرى تجميد النظر فـــي الدعاوى، وبقي الخـــلاف مفتوحا على مصراعيـــه، ولم يتوقف الصراع على أرض الواقع للحظة واحدة، وأن كان الصراع يأخذ شكلا أو عنوانا مختلفا في كل مرحلة ومرحلة.

إذا أخذنـــا بعين الاعتبار أنه ما دامت الأراضي متنازعا عليها، ولم تثبت المحكمة بعد ملكيتها في إطار قضايا التســـوية، فإنه لمن المتعذر اســـتصدار أي رخصة للبناء في هذه الأراضـــي، وبواقع الحال فإن هذه الأرض تحت تصرف الدولة. والحال كهذه، وجد عرب النقب أنفســـهم في مواقع سكنية غير معترف بها لمدى سنوات عديدة، ولكون هذه القرى بدون اعتراف فإن الأمر كان يعني تعذر توصيلها بشبكة المياه، التلفون الكهرباء إلخ، ما حول حياتهم إلى جحيم.

اتبعت إسرائيل عبر السنين سياسة تقوم من ناحية على إرهاق البدو وإثباط عزيمتهم، ومـــن ناحية أخرى علـــى إغرائهم بالانتقال إلى مراكز ســـكن حصرية ومحددة، وبالتالي تركيزهم في مناطق محددة ومحصورة.

بهذا المعنى فإن علينا النظر إلى مشروع برافر باعتباره محطة من سلسلة محطات في صراع بدو النقب مع دولة إسرائيل على أراضي النقب.

وكان قد ســـبق مشروع برافر – الذي سوف نسهب في استعراضه فيما يلي – لجنة تحقيق ســـميت بلجنة غولدبرغ على اســـم قاضي المحكمة العليا الذي ترأس عمل اللجنة. أقيمـــت لجنة غولدبرغ عـــام ٢٠٠٧ بقرار من الحكومة وذلك للنظر في مجمل التوجه الذي ينبغي اتخاذه من قبل الحكومة في كل ما يتعلق بأراضي النقب والدعاوى المقدمة من قبل البدو. وينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من أن إدعاءات البدو والمقدمة للمحاكم تتحدث عنه مســـاحة تصل الـ ٨٠٠،٠٠٠ دونم، فإن الحكومة حددت صلاحية اللجنة بالتفاوض حول مساحة لا تزيد على ١٠٠،٠٠٠ دونم.[٢٧]

يبدي تقرير لجنة غولدبرغ والتي نشرت تقريرها عام ٢٠٠٨، بعض التفهم لتاريخ البدو ولعلاقتهـــم بالأرض وتهجيرهم منها[٢٨] وتقتـــرح اللجنة تقديم تعويضات حتى لأولئك البدو الذين قدموا دعاوى إلى المحاكم الإســـرائيلية وجـــرى رفض هذه الدعاوى، كذلك أوصت اللجنة بالاعتراف بالعديد من القرى غير المعترف بها.

إلا أنه كما يشـــير أمارة فإن لجنة غولدبرغ تعاملت فقط مع المستوى المبدئي الرمزي، ولـــم تقدم اقتراحات عملية حول طريقة البحث في ادعاءات البدو. كما تعاملت اللجنة مع الموضوع من منطلق مبدئي سياسي وليس من منطلق حقوقي فقط. إذ إن اللجنة توصلت

إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه ما دامت الأراضي متنازعا عليها، ولم تثبت المحكمة بعد ملكيتها في إطار قضايا التسوية، فإنه لمن المتعذر استصدار أي رخصة للبناء في هذه الأراضي، وبواقع الحال فإن هذه الأرض تحت تصرف الدولة.

. ينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من أن إدعاءات البدو والمقدمة للمحاكم تتحدث عنه مساحة تصل الـ ٨٠٠،٠٠٠ دونم، فإن الحكومة حددت صلاحية اللجنة بالتفاوض حول مساحة لا تزيد على ١٠٠،٠٠٠ دونم.

إلـــى نتيجة مفادها أن لا حقوق ملكية للبدو من حيث المبدأ، لكنها أوصت بحل المشـــكلة وتعويض البدو، على أثر ذلك جرى تعيين لجنة برافر والتي كان دورها تحويل استنتاجات لجنة غولدنبرغ إلى مشـــروع قابل للتطبيق مـــع توصيات عملية. وهكذا قدمت لجنة برافر توصياتها في أيلول ٢٠١١ إلى الحكومة، وجرى تبنيها من قبل الحكومة بشكل رسمي.

تقرير برافر

إن من يراجع تقرير برافر يلاحظ أنه يشـــكل تراجعا عن بعض المبادئ الأساسية التي أقرتهـــا لجنة غولدبرغ، حيث اعتبـــرت اقتراحات لجنة غولدبرغ بأنها «ســـخية» وبالتالي توصي اللجنة باعتماد سياســـة أكثر تشددا مع البدو في هذا المجال، والتشدد يتركز في جوانب عدة، واحد منها هو تخفيض مســـاحة الأرض التي كان تقرير غولدبرغ مســـتعدا لمنحها كتعويض ضمن تعويض أرض مقابل أرض إلى النصف، أي بدل ١٨٣،٠٠٠ دونم حسب غولدبرغ إلى ٩٠،٠٠٠ دونم حسب برافر. أما التشدد الآخر فهو الجانب الإجرائي، إذ إن التقرير يقترح تعويضا معينا للبدو وضمن شروط معينة، وفي حال عدم قبوله خلال فترة زمنية محددة فإن الدولة في حلّ من التعويض. أي أن الدولة تستعمل سياسة العصا والجزرة لإغراء المدعين بالتوصل بأسرع وقت ممكن إلى قبول ما هو معروض عليهم، وإلا فإن البديل سوف يكون خسارة الأرض وخسارة أي تعويض كان.[٢٩]

يشكل تقرير برافر تراجعا عن بعض المبادئ الأساسية التي أقرتها لجنة غولدبرغ، باعتماد سياسة أكثر تشددا مع البدو في هذا المجال، والتشدد يتركز في جوانب عدة، واحد منها هو تخفيض مساحة الأرض التي كان تقرير غولدبرغ مستعدا لمنحها كتعويض ضمن تعويض أرض مقابل أرض إلى النصف.

علـــى أثر ردود الفعل الغاضبة من قبل قيادة الجمهور العربي، وقيادة بدو النقب، على هـــذه التوصيات ، قامـــت الحكومة بمحاولة امتصاص الغضب وتعديل المشـــروع، ولهذه الضـــرورة عينت الحكومة الوزير بيني بيغن للاســـتماع إلـــى اعتراضات البدو وممثليهم، من أجـــل محاولة إحداث تعديلات تلائم مطالبهم. بعد الانتهاء من الاســـتماع قدم بيغن توصياته والتي تضمنت بعض التحســـينات الطفيفة والعـــودة إلى تقرير غولدبرغ ببعض الأمور ومن بينها الاعتراف بالقرى غير المعترف بها.

ليس هنا المكان لاســـتعراض كامل تفاصيل الخطة التـــي اقترحها بيغن.[٣٠] لكن يجب الإشـــارة لبعض الأمور المهمة على مســـتوى المبدأ. من ناحية المبدأ، يســـتطيع أصحاب الأرض، في أحســـن الأحـــوال، وإذا توفرت جميع الشـــروط لديهم، بما فيهـــا إذا كانوا يعيشـــون على الأرض موضوع النزاع، الحصول على ما يوازي ٦٢٪ من مساحة الأرض التي يطالبون بها، أما في الحالات الأخرى فأن التعويض بأرض مقابل أرض يتراوح بين ٢٥٪ – ٥٠٪ من مســـاحة الأرض. أما بالنســـبة للتعويض فإن التقرير يثمن دونم الأرض بمبلغ يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شـــيكل كمبلغ للتعويـــض، وهو مبلغ هزيل إلى أبعد

الحدود. يضاف إلى ذلك فإن الدلائل المعتمدة في بحث طلبات التعويض هي تلك الموجودة فقط بحوزة الدولة، مثل تقارير وصور جو وتقارير داخلية ووثائق حكومية.

ويعني هذه الأمر أن من يوافق على هذا الإجراء والدخول في عملية التعويض سيبقى رهين نوايا الحكومة ولجنة التعويض، أي أن يقبل أن تكون الحكومة هي «الخصم والحكم».

إزاء هذا الوضع، ليس مفاجئًا أن تثير التوصيات موجة من الغضب والاستياء والاحتجاج.

احتجاجات على برافر

ردا على الخطوات الحكومية في قوننة مخططات السيطرة على الأراضي ولاحقا لإقرار ما يعرف بخطة برافر، قامت الجماهير الفلسطينية بعدة خطوات احتجاجية، وقد برز فيها دور الشباب على وجه الخصوص.

أعلنت الجماهير العربية ممثلة في لجنة المتابعة العليا لقضايا الجماهير العربية في إسرائيل، مباشرة وبعد المصادقة على مشروع القانون في حزيران ٢٠١٣، عن يوم ١٥ تموز (٢٠١٣) يوم إضراب عام. وقد شهد هذا اليوم مظاهرات غاضبة ضد المخطط في العديد من التجمعات العربية، كان أبرزها في بئر السبع وسخنين، حيث شهدت المظاهرتان مواجهات حادة مع الشرطة، وسُجلت فيها العديد من الاعتقالات. واستمرت الخطوات الاحتجاجية على شكل وقفات في عدد من البلدات ومظاهرات قطرية. ففي ١ أيلول أعلن يوم الغضب ضد برافر وتظاهر المحتجون في مفرق وادي عارة. وكما المظاهرة الأولى السابقة كذلك في هذه المظاهرة كانت مواجهات مع الشرطة، وحصل فيها العديد من الاعتقالات. لحقت هذه المظاهرة مظاهرات قطرية أخرى، ففي ٣٠ تشرين الثاني، أعلن عن يوم الغضب الثالث، وخرجت مظاهرات في كل من حيفا رام الله وغزة. كما خطط ليوم احتجاجي في ١٥ شباط ٢٠١٤ يحمل عنوان «يوم العونة». جدير بالذكر أن ٢٠ لائحة اتهام قدمت ضد مشاركين في المظاهرات ١٥ منها لمشاركين من النقب، وتم توجيه دعوات لجلسات استماع ضد عدد آخر من المتظاهرين.[٣١]

أعلنت الجماهير العربية ممثلة في لجنة المتابعة العليا لقضايا الجماهير العربية في إسرائيل، مباشرة وبعد المصادقة على مشروع القانون في حزيران ٢٠١٣، عن يوم ١٥ تموز (٢٠١٣) يوم إضراب عام.

على الرغم من بروز الشباب في تصديهم لمخططات برافر، ودعوتهم إلى المظاهرات والمشاركة بها، واعتقال جزء منهم، ونشاطهم للتعبئة ونشر الوعي على شبكات التواصل الاجتماعي، أبرزت الاحتجاجات ضد برافر ضعف لجنة المتابعة لقضايا الجماهير العربية ،كما جاء في مقال الصحافي وديع عواودة.[٣٢] فنجاح الإضراب بدرجة متوسطة، بحسب عواودة، ويدلّ عدم تفعيل الحلبة الدولية، كما صرحت اللجنة، على ضعف تنظيمها، وعلى

عدم توافق بين القيادات السياسيّة للفلسطينيين في الداخل، وعلى عدم القدرة على اتخاذ موقف قيادي موحد، الأمر الذي يشكل استمرارا لتغليب الحزب على الوطن.[٣٣]

إلى جانب الاحتجاجات في مناطق الـ ٤٨ شـهدت قضية النقب تضامنا فلسـطينيا، عربيـا وعالميا. حيث نظمت مظاهرات في أكثر من عاصمة عربية وغربية. كما سـاهمت المؤسسات الحقوقية في الداخل الفلسطيني برفع قضية النقب إلى المحافل الدولية. الأمر الذي أثار حفيظة الخارجية الإسرائيلية، وذلك لعدة أسباب كما يظهر من تقرير في إحدى الصحف الإسرائيلية: [٣٤]

الأول: الجانب الدولي للاحتجـاج – إذ حصلت عمليات الاحتجاج على اهتمام دولي من قبل الإعلام الدولي، ومن قبل هيئات دولية وحقوقية رسمية قدمت احتجاجاتها لدى الحكومة الإسرائيلية.[٣٥]

ثانيا: إلى حدّ كبير، وحّد النقب الفلسـطينيين في إسـرائيل، وأعاد إنتاج وعيهم لطبيعة الدولة الإسـرائيلية ومشـروعها الذي يقوم على الاستيلاء على الأرض. لم تقتصر الاحتجاجـات على النقب ولا على بدو النقب، وقد تكون المظاهرة الأضخم والأكثر تأثيرا قد حصلت في مدينة حيفا الساحلية الشمالية.

ثالثـا: برز في هذه الاحتجاجات الدور الشـبابي الوطني، وبرز دور الشـباب الطليعي دون انتظار قيادات الأحزاب. طبعا هذا لا يعني أن الحراك الشـبابي في مواجهة الأحـزاب، إلا أنـه يعني وجود مسـاحة من العمل الوطني السياسـي إلى جانب الأحزاب ومنفصلة عنها.[٣٦]

شـهدت قضيـة النقـب تضامنـا فلسـطينيا، عربيـا وعالميا. حيث نظمـت مظاهـرات فـي أكثـر مـن عاصمـة عربيـة وغربيـة. كما ساهمت المؤسسـات الحقوقية فـي الداخـل الفلسـطيني برفـع قضيـة النقـب إلـى المحافـل الدولية.

٣ . الحراك الشبابي في الداخل

سـنحاول في هذا القسـم رصد بعض التحولات في الحراك الشبابي للفلسطينيين في الداخل. هذا السـرد هو نوع من تلمس ملامح مرحلة معينة في حياة الشـباب الفلسطيني ليس أكثر، لكن هذه الملامح قد تكون مثار تفكير ودعوة لإجراء أبحاث أكثر تفصيلا وتعمقا.

- **الحركة الطلابية**

إن المتابع لوضع الحركة الطلابية للفلسـطينيين في الجامعات الإسرائيلية لا يستطيع إلا أن يلحـظ أن هذه الحـركات قد فقدت الكثير من البريق الذي حصلت عليه في العقود السابقة من الستينيات وحتى التسعينيات، ففي العقد الأخير يمكننا أن نلحظ فتورا معينا في الحركة الطلابية وفي لجان الطلاب العرب في الجامعات.

فلجنة الطلاب العرب في حيفا مثلا شبه مشلولة، والانتخابات الأخيرة للجنة نظمت عام ٢٠١١[٣٧]، وهذا أمر لم يكن بالإمكان تخيّله في الثمانينيات أو السبعينيات من القرن الماضي، حيث أن انتخابات لجنة الطلاب العرب كادت أن تكون الحدث المركزي في حياة الطلاب، وكانت الصحافة تغطي أخبار هذه الانتخابات باعتبارها مختبرا للمزاج السياسي العام. لقد ذهبت هذه الأيام، وقد يكون أنها ذهبت دون رجعة.

أصبحت الأمور التي تشغل الطلاب ولجنة الطلاب سياسية أقل، ومطلبية مباشرة ويومية

عدا عن ذلك فإن الأمور التي تشغل الطلاب ولجنة الطلاب أصبحت سياسية أقل، ومطلبية مباشرة ويومية أكثر، مثل تشغيل خط باصات من الناصرة إلى حيفا، أو الاعتراف بعيد الأضحى عطلة رسمية،[٣٨] ولم تعد هذه المطالب مثار استهجان إنما مطالب شرعية وتقع في صلب العمل الطلابي، ولم تعد الحياة الجامعية ساحة تمتاز بكثافة العمل السياسي، إنما ساحة للعلاقات الفردية والاجتماعية.

إن واحدا من المداخل لفهم هذا التحول ونزع الهالة عن الحركة الطلابية والحياة الطلابية يعود إلى تضافر حقيقتين:-

الأولى هي أن الفرق بين المدينة والقرية قد جرى جسره بكثير من المفاهيم. إن الطالب يصل إلى المدينة قبل أن يصل اليها، فمع ازدياد وسائل الاتصال والمعلومات والشبكات الاجتماعية فإن الشاب في القرية ليس بحاجة للوصول إلى المدينة كي يشاهد أفلام السينما والتي أصبح باستطاعته مشاهدتها في بيته بكبسة زر، وهو يستطيع أن يتابع بالصوت وبالصورة معظم الأمور المهمة التي تحصل في المدينة البعيدة، وإن لم يكن جميعها، وبالتالي فإن الوصول إلى الجامعة/ المدينة لم يعد يشكل انقلابا في حياة الطالب بالحدة ذاتها.

ثانيا:- إن شبكة المواصلات السريعة بين القرية والمدينة، وحقيقة أن بعض الطلاب أصبحوا يقتنون السيارات، يعني أنّ الطالب يذهب إلى المدينة لكنه يعود مع نهاية الاسبوع إلى بيته، أي أنه لا يسكن المدينة تماما بقدر ما يذهب كي يتعلم فيها، وبالتالي فإن القضية ليست حادة كما كان الأمر عليه في سنوات خلت، حيث أنه في كثير من الأحيان كان وصول الطالب لتلقي تعليمه الجامعي في تل أبيب أو القدس هو تقريبا وصوله الأول إلى هذه المدن. هذا التواصل، قبل وصول الجامعة مع المدينة، والتواصل مع القرية بعد الوصول إلى الجامعة للتعلم فيها، أفقد الحياة الجامعية بعض خاصيتها ومعها الحياة الطلابية.

لقد شهد العقدان الأخيران دخول جمعيات أهلية عديدة ساحة العمل الشعبي والجماهيري إلى جانب الأحزاب، وكان لهذا الدخول عدة تأثيرات.

العامل الثالث الذي يجب الانتباه إليه هو ازدياد عدد الكليات مقابل الجامعات، ما أفقد الطالب الجامعي مكانته المرموقة التقليدية.

وأما العامل الرابع فهو حقيقة أنه في حين كان الطالب الجامعي حالة اســتثنائية في الســبعينيات أو الثمانينيات، لقلة الأكاديميــين، فإن الطالب الجامعي اليوم لا يمثل محط أنظــار، إذ إن القرية أصبحت مليئة بأمثاله الذين تخرجوا من الجامعات ويعيشــون في القرية. وتحول دور روابط الأكاديميين إلى هيئات تعنى بأمور تقنية مهنية من أجل تحضير طلاب الثانويات لدراستهم العليا.[٣٩]

ومن الأمور التي تستحق التوقف في هذا السياق من العمل الطلابي هو السهولة غير المعقولة التي اســتطاعت الحركة الإسلامية أن تسيطر فيها على لجان الطلاب العرب في تلك الجامعات التي خاضت فيها الانتخابات.[٤٠] وقد يكون انتصار الحركة الإسلامية التي شددت على برامج اجتماعية وخدماتية إشارة إلى انحسار الطابع الوطني الريادي للحركة الطلابية وتحولها أكثر فأكثر من منظمة سياسية وطنية إلى منظمة نقابية خدماتية.

يمكــن القول نظرا لجميع هذه المتغيرات، إن الجامعــات لم تعد المركز الوحيد للحراك السياســي وللحركة الطلابية، ولم تعد في مركز الحراك الشبابي، ولم تعد الجامعة المكان الوحيــد الذي يمارس فيه الطلاب نشــاطهم السياســي الثقافــي، وبالتالي هناك بعض الانتقــال في ســاحة العمل من الجامعة إلــى البلدة، وانتقل بعض النشــاط من الحركة الطلابية حصريا إلى حركات شبابية عموما، يشارك فيها الطلاب وغير الطلاب، هذا على الرغم من أن عدد الطلاب العرب في الجامعات قد ازداد.[٤١]

إن حقيقة كون الجمعيات الأهلية قادرة ماديا مقارنة بالأحزاب، وكونها ذات اختصاص، وكونها لا تطلب التزاما طويل المدى، كل هذه الأمور مجتمعة خلقت مشاريع عمل ونشاط شبابية وطنية، لا تنتمي مباشرة إلى الأحزاب أو إلى الحركة الطلابية.

- **من عضو الحزب إلى الناشط**

لا بد، من أجل رصد التحولات في عمل الشبيبة، من الإشارة إلى الدور المركزي الذي لعبته الجمعيات الأهلية، سلبا كان أم أيجابا. لقد شهد العقدان الأخيران دخول جمعيات أهلية عديدة ساحة العمل الشــعبي والجماهيري إلى جانب الأحزاب، وكان لهذا الدخول عدة تأثيرات. أحد هذه التأثيرات كان ارتفاع منسوب العمل المهني المختص مقارنة بالعمل الحزبي السياسي العريض الذي يهدف إلى إحداث تغييرات عريضة وجوهرية في المجتمع والدولــة، في حــين أن العمل في هذه الجمعيات يركز على جانــب واحد فقط من جوانب المجتمــع، مثل: القانون، الصحة، الثقافة إلخ، عدا عــن أن العمل في هذه الجمعيات هو عمل مدفوع الأجر ومخصص لهدف معين.

من ناحية، اســتعملت الأحزاب هذه الجمعيات في كثير من الأحيان واعتبرتها امتدادا فكريــا، إن لم يكن تنظيمياً لها، وبالتالي فقد جرى توزيع هذه الجمعيات وتصنيفها بناء على توجهها الفكري باعتبار أن بعضها مقرب من التجمع والآخر من الجبهة الديمقراطية

وأخرى إسلامية. إلا أن هذا الوضع خلق إشكالا معيناً، لأنه أفقد التنظيم الحزبي القدرة على احتكار فكر سياسي معين، وأصبح بمقدور كل شاب أن يعمل، أو يتماثل، أو ينشط في جمعية معينة روحها وفكرها قريب من حزب معين، دون أن يكون مضطرا إلى الانتماء إلى الحزب نفسه مع ما يعنيه هذا الانتماء من التزام فكري وتنظيمي طويل المدى، يستحوذ فيه الحزب على حياة الفرد.

إن حقيقة كون الجمعيات الأهلية قادرة ماديا مقارنة بالأحزاب، وكونها ذات اختصاص، وكونها لا تطلب التزاما طويل المدى، كل هذه الأمور مجتمعة خلقت مشاريع عمل ونشاط شبابية وطنية، لا تنتمي مباشرة إلى الأحزاب أو إلى الحركة الطلابية.

مثال على ذلك مشروع جمعية بلدنا «الإنجاز الشعبي» و «شبيبة بلدنا» حيث تلقى الطلاب الجامعيون منحاً مقابل تشكيل مجموعات طلابية في بلدة معينة، تعمل على تثقيفها وتوعيتها، وتعمل معها من أجل إنجاز وإقامة نشاط شعبي ينظمّه الطلاب بإرشادٍ وتوجيه من ناشطي الجمعية،[٤٢] في مشروع مشابه، قامت به المؤسسة العربية لحقوق الانسان تلقىّ طلاّب جامعيون منحاً مقابل قيامهم بنشاطات، وتنظيم مجموعات شبابية في القرى العربية، وتبنت هذه المجموعات اسم «حركة الحق».[٤٣]

وجود العمل في الجمعيات الأهلية قد أعطى قوة للعمل الحزبي وأضعفه في الوقت نفسه، أو قُل غير من طبيعته، لأنه أتاح المجال للعمل الأهلي والشعبي والوطني دون ضرورة الالتزام بالعمل الحزبي المؤسساتي.

بهذا المعنى فإن وجود العمل في الجمعيات الأهلية قد أعطى قوة للعمل الحزبي وأضعفه في الوقت نفسه، أو قُل غير من طبيعته، لأنه أتاح المجال للعمل الأهلي والشعبي والوطني دون ضرورة الالتزام بالعمل الحزبي المؤسساتي. وأصبح من الممكن أن تكون نشيطا هذه السنة وخاملا السنة القادمة، وأن تشارك في العمل ضد برافر مثلا دون أن تشارك في النضال ضد مصادرة الأراضي في الجليل. هكذا ولد مصطلح «الناشط». والناشط ليس عضوا في حزب بالضرورة، وليس موظفا في جمعية. بهذا المعنى الناشط هو إلى حدّ معين شخص مزاجي، سلباً كان الأمر أم أيجاباً. وقد يكون أفضل تمثيل لهذا النمط من النشاط هو ما يطلق عليه اسم «حملة» تماشيا مع ثقافة عالم الاستهلاك والإعلانات التجارية – لحظة يتركز فيها النشاط والاهتمام والإعلام، كعلاج موضعي لأزمة معينة عينية:– حملة الإفراج عن الأسير فلان، حملة لإسقاط مخطط برافر، حملة لمقاطعة مقهى معين بسبب عنصريته، إلخ.

- **الفضاء الإلكتروني الجديد**

ما يكمل الصورة أعلاه هو الفضاءات الجديدة التي ينميها الإعلام الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي، والتي كسرت احتكار صحافة الحزب، وأصبح بمقدور كل

شخص تقريبا أن يكون صاحب صحيفة إذا أجاد استعمال التقنيات البسيطة وصفحات التواصل الاجتماعي. لقد محت شبكات التواصل هذه، إلى حد كبير، الفرق بين الحدث وبين الخبر الذي يوافيك بالحدث، لأن الحدث نفسه هو الخبر، والنشاط السياسي يجعل الفيسبوك نفسه مساحة للصراع على عقول المشاركين وقلوبهم.

نتيجة لهذا التشتت، والنابع عن غياب المركز، أو تحوّل كل نقطة إلى مركز بالدرجة نفسها، تطوّرت آليات لصناعة المركز في ظل غياب المركز. وإذا كانت فكرة «الحملة» هي التعبير عن غياب المركز من حيث المضمون والفكر والموقف، فإن الموازي التقني لها في عالم شبكات التواصل الاجتماعي هو فكرة الهاشتاغ وهو عبارة عن كلمة – صورة – تعبير يكثف الدلالات اللغوية والسياسية لمشروع معين، تفرض نفسها كحدث رمزي يختلف الناس إزاءَهُ ويتفقون، يعلقوّن ويعدلون، ليتحول إلى عنوان الحدث، في عالم غابت عنه العناوين الرئيسة، لأن كل شيء أصبح ثانويا.

هنا يمكن الإشارة إلى الدور البنّاء الذي يلعبه التصميم الفني والجرافي في العمل السياسي، علما بأن جزءا من العمل السياسي قد انتقلت ساحته إلى العالم المرئي المسموع، بحيث أن الإبداع في هذه المجالات أصبح عاملاً مركزياً في القدرة على استقطاب ولفت النظر والتحريض والتحشيد وخلق المفارقات والتهكم والتحدي. ليس غريبا أن يكون هناك تلاحم متزايد بين العمل السياسي وسط الشباب وبين الحركات الفنية على أنواعها، وتوظيف هذه الأخيرة بشكل مبدع، وأحيانا أخرى تكون السياسة مناسبة لتطوير تقنيات وأفكار فنية خلاقة.

وخلق الفضاء الإلكتروني الجديد علاقات وصداقات عابرة للحدود بين الشبيبة في الداخل مع امتدادها العربي الإقليمي، وأصبح الأصدقاء في العالم العربي قراء محتملين لما يكتب مما حول اللغة العربية إلى لغة أساسية في الكتابة في شبكات التواصل الاجتماعي لدى فئات معينة، ومن المبكر معرفة تأثير الأمر على مستوى اللغة العربية، ومدى تداولها ومدى تأثير الأمر على هوية هذا الجيل من الشباب وعلى تواصله مع العالم العربي وبقية أجزاء الشعب الفلسطيني. وهي كلها مواضيع تحتاج إلى الدراسة الميدانية المستفيضة.

٤ . الفضاءات الثقافية والفنّية

إن هذا القسم في غالبيته هو قسم تقريري ولا يشير إلى حدث بعينه. بالتالي فإن هذا القسم يتحدث عن بعض التيارات العميقة والنزعات الأولية في بعض المجالات التي لا يجري التعامل معها في الواجهة.

فيما يلي ســأرصد بعض الفضاءات الثقافية والفنية والآخذة في الازدياد في الداخل الفلسطيني، ومن الأمور اللافتة للنظر هو تطور مؤسسات تعنى بهذه الأمور بشكل مهني ومســتديم، ما يشــير إلى وجود بوادر لحركة فنية تقوم وتعمل على أســس ومعايير فنية بالأســاس، قبل أن تكون صاحبة رسالة اجتماعية أو سياسية واضحة ومباشرة، لكن قد يكون في هذا الانفصال النســبي للحيز الفني الثقافي عن الحيز السياســي الاجتماعي المباشر علامة على نوع من النضوج المجتمعي وتنوع موارده ومراكز ثقله، مما يتيح حوارا داخليا من نوع آخر، حوارا لا يقوم فقط على تعدد الأفكار والمواقف، إنما يقوم أيضاً على تعدد طرق التعبيرعنها. يتيح تعدد الفضاءات وطرق التعبير مســاحة وهامشا نقديين من ناحية، وإمكانيات تظافر وتلاحم ودعم من ناحية أخرى.

- **الموسيقى**

تنقسم المؤسسات الموسيقية الفلسطينية أو معاهد التعليم الموسيقي في الداخل إلى قسمين (إنّ صح التعبير): القسم الأول هو تدريس الموسيقى الشرقية والغربية، بالتركيز على الشرقية، والقسم الثاني هو تدريس الموسيقى الكلاسيكية الغربية. وبرغم هذا الاختلاف نوعاً ما ووجود هذه المؤسسات في ثلاث مدن فلسطينية مختلفة، إلا أنها بالإضافة إلى التربية الموسيقية، فهي أيضاً تعمل على تنظيم أمســيات وعروض موسيقية سواءً لطلابها وطاقمها التدريسي وكذلك على استضافة موسيقيين/ات وفرق وجوقات لتقديم عروض تحت اسمها وغطائها.

تنقسم المؤسسات الموسيقية الفلسطينية أو معاهد التعليم الموسيقي في الداخل إلى قسمين (إنّ صح التعبير): القسم الأول هو تدريس الموسيقى الشرقية والغربية، بالتركيز على الشرقية، والقسم الثاني هو تدريس الموسيقى الكلاسيكية الغربية

القسم الأول: معاهد تدريس الموسيقى الشرقية والغربية

- **جمعية «بيت الموسيقى» في شفاعمرو**[٤٤]: تأسست في العام ١٩٩٩ وهدفت منذ تأسيسها إلى تطوير الثقافة الموسيقية من خلال تطوير وخلق أطر موسيقية مهنية متعددة والتفاعل الموســيقي مع ثقافات موســيقية متنوعة، وتوفير فضاء تدريبي مهني للمهارات والمواهب الموســيقية الفتية والشابة لتحقيق ذاتها، بالإضافة إلى تدريس الموسيقى الشرقية والغربية من خلال كونسرفتوار «بيت الموسيقى» وطاقم تدريس موســيقي مهني، تنظيم عروض موسيقية فلســطينية وعالمية والعمل على مشاريع جماهيرية موسيقية.
- **جمعية «المشــغل- الجمعية العربية للثقافة والفنون» في حيفا**:[٤٥] تأسســت الجمعية في عام ٢٠٠٧، لتشــجيع المجتمع الفلسطيني على تطوير الثقافة العربية من خلال الموسيقى والفنّ. تقوم «المشغل» على تدريس الموسيقى الشرقية والعربية مــن خلال دروس الآلات الموســيقية وطاقم تدريس موســيقي مهني، وكذلك على

تنظيم عروض موسيقية لطلابها وموسيقيين/ ات وفرق موسيقية فلسطينية، وكذلك على دعم عروض موسيقية محلية.

تعمل كلّ من «بيت الموسيقى» و «المشغل» على تأهيل طلابها إلى الامتحانات النهائية المدرسية (البجروت) للموسيقى.

أورفيوس»- جمعية لنشر الثقافة الموسيقية متعددة الحاضرات: تعنى الجمعية منذ تأسيسها بتطوير التربية الموسيقية عموماً والموسيقى الكلاسيكية على وجه الخصوص.

القسم الثاني/ معاهد تعليم الموسيقى الكلاسيكية الغربية

- **«أورفيوس»- جمعية لنشر الثقافة الموسيقية متعددة الحاضرات:** تعنى الجمعية منذ تأسيسها بتطوير التربية الموسيقية عموماً والموسيقى الكلاسيكية على وجه الخصوص. تقدم الجمعية ما معدله ١٥ عرضاً موسيقياً سنوياً؛ لطلاب المعهد وطلاب معاهد الموسيقى للتعليم العالي (الأكاديميا في القدس) وموسيقيين من البلاد والخارج، بالإضافة إلى التعاون مع موسيقيين وجوقات إسرائيلية. تنظم «أورفيوس» عروضها بالأساس في الناصرة ومنطقتها، وكذلك خلال عام ٢٠١٢ قدمت الجمعية ١٠ عروض موسيقية في الناصرة ومحيطها، بالإضافة إلى عرض موسيقي في اللد وعرض في حيفا. وفي عام ٢٠١٣، أقامت «أورفيوس» ١٣ عرضاً موسيقياً، منها عروض في الناصرة ومحيطها وكذلك في يافا وباقة الغربية وحيفا.
- **مؤسسة بوليفوني:**[٤٦] كان هدف «بوليفوني» منذ تأسست خلق أرضية موحدة من خلال الصوت، كمكان يجمع ما بين عرب ويهود من جيل الشباب حول الموسيقى الكلاسيكية الغربية من عروض ومشاريع موسيقية شارك فيها حتى الآن أكثر من ٣٠٠٠ شخص/ طالب، وكذلك أكثر من ٤٠ معلم/ة موسيقى. وتعنى المؤسسة بالتثقيف الموسيقي في المدارس، وتكشف الطلاب لعالم الموسيقى. وقد حققت المؤسسة رغم عمرها القصير نجاحات منقطعة النظير، إذا حاز بعض طلابها على جوائز مرموقة ومهمة جدا محليا وعالميا.

- **الأدب والنشر**

دار راية للنشر والترجمة: استمرت «دار رأية للنشر والترجمة» في حيفا بإصداراتها الأدبية والشعرية في عام ٢٠١٣، امتداداً منذ تأسيسها في العام ٢٠١١.

- **دار راية للنشر والترجمة:** استمرت «دار رأية للنشر والترجمة» في حيفا بإصداراتها الأدبية والشعرية في عام ٢٠١٣، امتداداً منذ تأسيسها في العام ٢٠١١، وكان قد تم بيع ما يقارب الـ ٨ آلاف نسخة من الكتب الصادرة عنها. ومقارنة ما بين العام الأول لتأسيس الدار وحتى العام ٢٠١٣ هنالك تحسن في البيع، كما أفاد مدير الدار ومؤسسها، الشاعر بشير شلش، من ناحية البيع والكتاب وجمهور المتابعين والقراء، في فلسطين على وجه الخصوص.

- **موقــع قديتــا الإلكتروني للثقافة والأدب**:[٤٧] تأســس موقــع «قديتا» في عام ٢٠١٠ على يد الكاتب والصحافي علاء حليحل، بهدف خلق مســاحة ثقافية وفنّية فلسطينية، توّفر إطارا للنشر الإعلامي والأدبي والثقافي والفنّي؛ موسيقى، مسرح، ســينما، فنون بصرية، من وعن فلسطين بشكل خاص والعالم العربي بشكل عام. وذلك من خلال هيئة تحرير تعمل بشكل تطوعي تماماً.

دارة الثقافة والفنون» في الناصرة: مــن الأماكــن القليلــة المهيــأة لاســتضافة معارض فنّيــة بصرية وهــي تابعــة لمجلــس الطائفــة الأرثدوكسية.

- **الفنون البصرية**

- **«دارة الثقافــة والفنــون»**[٤٨] في الناصــرة: من الأماكن القليلة المهيأة لاســتضافة معــارض فنّية بصرية وهي تابعة لمجلس الطائفة الأرثدوكســية. قدمت الدارة خلال العــام ٢٠١٣ معرضاً بعنوان «فنانون من الناصرة»، باشــتراك مجموعة من فناني الناصرة. بالإضافة إلى أن الدارة تعمل أيضاً على معارض مشتركة بين فنانين/ ات فلسطينيين/ات وفنانين/ات إســرائيليين/ ات، منها معرض «ما بين وبين»[٤٩] والذي تم افتتاحه يوم ٧ /١٢/ ٢٠١٣.
- **صالة العرض للفنون أم الفحم**:[٥٠] تأسســت الصالة في العام ١٩٩٦ في أم الفحم، بهدف تطوير مجتمع الفنّ المعاصر، وكذلك عرض الفنّ العربي الفلســطيني. وتقدم الصالة مســاحة لعرض المعارض الفنّية الفردية والجماعيــة، بالإضافة إلى دورات ونــدوات وحلقات عمل وحلقات دراســية. وتصبّ جلّ تركيزها علــى الفنانين العرب واليهود من منطقة وادي عارة.[٥١]

- **دراما وتلفزيون**

- **«المنشــر- فنّ وإنتاج»**[٥٢]: تأسس «المنشــر» في عام ٢٠١٣، للعمل على مجالات الفــنّ المختلفة، بــدءاً من بناء الأفــكار وإنتاجها وتوزيعها للجمهور الواســع أو المؤسســات الرسمية وغير الرسمية. يعمل المنشــر على المحاور التالية: العروض المســرحية، السينما والمسلســلات والمقاطع المصورة، توزيع عروض فنّية وثقافية مختلفة وتسويقها، بناء على حملات إعلامية وإعلانية مصورة.

في العديد من الإنتاجات الثقافية هنالك تأكيد مستمر على الارتباط مع الامتداد الثقافي العربي، ســواء مــن خــلال إعــادة إحيــاء المــوروث الموســيقي مــن خــلال الجوقــات الموســيقية العربية الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨.

- **فضاءات لإستضافة مشاريع وعروض ثقافية وفنّية متنوعة**

- **الورشــة- مساحة فنّية**:[٥٣] تأسســت في عام ٢٠١٣ في جادة الكرمل في حيفا، على هيئة جمعية تقدم الورشــات الفنّية (مســرح، رسم، تطريز، تصوير، إخراج، إلــخ) وكذلك على هيئة مطعم ومقهى وبار وحديقة قــادرة على احتضان الندوات

والنشاطات الفنّية والثقافية على كافة أنواعها، حيث أقامت العديد من النشاطات منذ افتتاحها في صيف ٢٠١٣ ولغاية نهاية السنة، منها نشاطات من إنتاجها ومنها استضافات. ومن أهم ما ميز نشاطات الورشة كان البرنامج الموسيقي الذي أقيم مرة كلّ أسبوعين، كلّ يوم أربعاء، يحمل الاسم «جام»، وهو بمثابة دعوة للموسيقيين/ات والفرق الموسيقية للحضور وتقديم عزف موسيقي ارتجالي مشترك بين مجموعة من الموسيقيين/ات.

- **«المحطة»**:[٥٤] تأسست المحطة في عام ٢٠١٣ في شارع يافا في حيفا، وهي عبارة عن تعاونية شبابية فلسطينية تشغل مقهى وحانة وتتوفر فيها مساحة حرّة للإبداع والإنتاج، محتضنة مشاريع ثقافية مختلفة بالتواصل مع تعاونيات وأجسام أخرى في العالم العربي.

- **مساحات تجارية تمنح مساحة ثقافية وفنّية**

من الجدير الإشارة إلى ظاهرة مهمة في المشهد الثقافي، وهي المساحات التجارية التي تخصص من برنامجها الأسبوعي أو الشهري أو السنوي لتنظيم وإستقبال عروض فنّية وثقافية وبالأخص موسيقية. هذا القسم يضم العديد من الأماكن التجارية الفنّية على وجه الخصوص، سواء الكبيرة أو الصغيرة، مثل: مقهى فتّوش[٥٥] في حيفا، الذي يرتكز بالأساس على استضافة معارض فنّية في «الجاليري» أو عروض موسيقية في ساحته الخارجية أو في مساحة تُسمى بـ «القعدة». وفي الناصرة بإمكاننا الحديث عن مقهى ومطعم «صدفة»، الذي يستضيف بوتيرة غير ثابتة أمسيات توقيع أو ندوات ثقافية أو عروض موسيقية مختلفة. مقهى «إليكا – مقهى وفنّ»[٥٦] في حيفا.

يمكن أن نميّز في الإنتاجات الثقافية والفنّية السّمات والاتجاهات التالية

- **التواصل مع المحيط العربي**

في العديد من الإنتاجات الثقافية هنالك تأكيد مستمر على الارتباط مع الامتداد الثقافي العربي، سواء من خلال إعادة إحياء الموروث الموسيقي من خلال الجوقات الموسيقية العربية الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، كمثال على ذلك، وخلال عام ٢٠١٣، تم تقديم عروض موسيقية كاملة لألحان الموسيقار المصري محمد القصبجي (عرض «رق الحبيب» لجوقة ترشيحا للموسيقى العربية)، أو ألحان وأغاني الموسيقار المصري سيد درويش (عرض «سيد درويش» لجوقة «سراج» من الرامة)، أو تلى رحيل الموسيقار اللبناني وديع الصافي، من تقديم جوقتي «سراج» و «بيات» عرضهما «تحية

إلى وديع الصافي». وخلال سـنوات طويلة، قام الفنان الفلسـطيني ألبير مرعب بإحياء موروث أغاني الشـيخ إمام عيسى ورفيق دربه الشاعر أحمد فؤاد نجم من خلال عروض مستمرة حتى يومنا هذا تقدم في أماكن ومساحات ثقافية وفنّية عديدة في فلسطين. وفي نهاية عام ٢٠١٣ قام ألبير مرعب وابنته ماريا (غناء) وابنه مروان (بزق) بتقديم أمسيات موسيقية إحياءً لذكرى الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم والذي توفي في شهر كانون الأول ٢٠١٣ ، كما قام بإحياء موروث الموسـيقي زياد الرحباني كجزء من مسـيرته الفنّية التي عرفها الجمهور الفلسطيني عنه.

- **مواضيع التعددية الجنسية والجندرية**

من بين الإنتاجات الفلسـطينية الفنّية المهمة على مسـتوى المضمون كان ألبوم «غنّي عـن التعريف»، والذي إنطلق من حيفا في عـام ٢٠١٣ بمبادرة وإصدار وإنتاج مجموعة «القوس للتعددية الجنسية والجندرية في المجتمع الفلسطيني»، وهو عبارة عن مجموعة من الأغاني التي أنتجت خصيصاً لتخاطب مواضيع التعددية الجنسية والجندرية وتجارب من حياة المجتمع المثلي في فلسطين.

بإمكاننا اعتبار مسرحية «باي باي جيلو» ضمن الإنتاجات التي تخطت الحدود المفروضة، لأن نص المسرحية هو للكاتب المغربي والمقيم في بروكسل عدنان طه، الإخراج للمخرج الفلسطيني بشار مرقص (٤٨) وإنتاج مسرح الحارة في بيت لحم.

- **دمج مع أنماط موسيقية عالمية**

هنا يمكننا الحديث عن عروض ومشاريع فنّية تقدم أنواعا موسيقية من عوالم مختلفة، وتعمـل علـى الدمج فيما بينها، من هـذه المجموعات نذكر مجموعـة «Dub key حركة الدبكة».[٥٧] تدمج المجموعة ما بين موسـيقى التراث الفلسطيني وموسيقى الريجي، وكذلك الموسـيقى الإلكترونية، وكلمات أغانٍ خاصة من تأليف المجموعة. فرقة «الدام»[٥٨] لموسيقى وأغانـي الراب، وهي من أقدم فرق الراب في فلسـطين والعالـم العربي، والتي كانت قد أطلقت ألبومها الموسـيقي «ندبك عَ القمر»[٥٩] في العام ٢٠١٢، وعملت على جولات عديدة في بلدات فلسطينية. بالإضافة إلى مجموعة جوان صفدي وفش سمك،[٦٠] وهي عبارة عن فرقة تقدم أغاني من كلمات خاصة وترتكز ألحانها بالأساس على موسيقى الروك.

يتميز الإنتاج الموسـيقي تحديـداً في إمكانية العمل وبناء مُنتج موسـيقي من خلال استخدام وسائل ووسائط الإنترنت الحديثة، مثلاً، ألبوم «يحملني الليل» ٢٠١٣ للفنانة ريم تلحمي (كلمات: خالد جمعة/ غزة وألحان وتوزيع: سعيد مراد/ القدس). كذلك الأمر مع أغنية في ألبوم «كيان» لمجموعة «إنجاز»، تم إصداره في العام ٢٠١٠، تحمل إحدى أغاني الألبوم الاسم «لنا لقاء»،[٦١] من أداء عدي كريّم بالتعاون مع الفنانة اللبنانية ميّ نصر.

بالإضافة للتعاون والتسجيل/ الإنتاج عبر الإنترنت، قامت مشاريع عديدة وأغانٍ من خلال السفر الفعلي، وإنّ كان للإنترنت دور على سبيل المثال في ألبوم «ندبك عَالقمر» لفرقة «دام» لموسيقى الراب، تم تسجيل أغنية «ليش»[٦٢] بالتعاون مع الفنان الجزائري رشيد طه والمقيم في فرنسا.

في هذا الجانب أيضاً، أطلقت الفنانة ريم بنّا من تونس العاصمة ألبومها الموسيقي «تجليات الوجد والثورة» في شهر شباط ٢٠١٣. وكانت ريم بنّا قد سجلت أغاني الألبوم في الناصرة، وسيدي بوسعيد (تونس)، وأوسلو (النرويج)، وهو يضم موسيقيين فلسطينيين وتونسيين ونرويجيين.

وفي المسرح، بإمكاننا اعتبار مسرحية «باي باي جيلو»[٦٣] ضمن الإنتاجات التي تخطت الحدود المفروضة، لأن نص المسرحية هو للكاتب المغربي والمقيم في بروكسل عدنان طه، الإخراج للمخرج الفلسطيني بشار مرقص (٤٨) وإنتاج مسرح الحارة في بيت لحم. ولربما أجمل ما في الإنتاج هو أن موضوع المسرحية يتحدث عن «شاب مغربي مهاجر مقيم في بروكسل بطريقة غير شرعية»، وبالتالي يكسر فكرة أن الإنتاج الثقافي الفلسطيني عليه أن يتحدث عن فلسطين، ففي مسرحية «باي باي جيلو» لدينا نص جديد لكاتب مغربي، وتمت مسرحته وتقديمه إلى الناس سواءً في فلسطين وخارجها من خلال طاقم فلسطيني كامل.

إجمال

لقد قمت في هذا الفصل باستعراض بعض التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في أوســـاط الفلسطينيين في إســـرائيل. لاحظنا أنه في كل ما يتعلق بموضوع انتخابات الســـلطات المحلية فإن هناك بعـــض التراجع في الحضور السياســـي والحزبي في هذه الانتخابات لصالح قوائم أكثر محلّية وذات طابع غير سياسي.

قمت بالمقابل باستعراض مخطط برافر كنموذج لواحد من معارك الأرض التي يخوضها الفلســـطينيون في الداخل. ويمكننا في هذا الســـياق أن نسجل بعض النجاح من حيث كثافة عمليات الاحتجاج التي عمّت جميع قطاعات الشـــعب الفلسطيني في الداخل، ومن حيث قدرتها على الوصول إلى الإعلام الدولي والهيئات الدولية.

أضـــف إلى ذلك، فقد اســـتعرضت في التقرير بعض تيـــارات العمق في مجال العمل الشبابي والثقافي، ولاحظت أن هناك بعض التراجع في العمل الطلابي الجامعي لصالح العمل الشـــبابي عامة. كذلك أشـــرت إلى الأثر الذي أحدثه دخول الجمعيات الأهلية على العمل السياسي سلبًا وإيجابًا. وانتهى التقرير بتقديم رصد أوّلي للحراك الفني والثقافي والذي بدون شـــك قد بدأ يأخذ مساحة أكبر في حياة الفلسطينيين في الداخل، ولعلّ في ذلك إشارة لعافية معيّنة لدى هذا المجتمع.

الهوامش

١ انظر مهند مصطفى ويوسف جبارين (تحرير)، الحكم المحلي في المجتمع الفلسطيني في البلاد، دار برديس الأكاديمية، ٢٠١٣، ص ٣٧.(بالعبرية).

٢ م.س، ص ٩.

٣ م.س، ص ١١.

٤ م.س ص ١٣.

٥ م.س، ص ٨٤.

٦ م.س، ص: ١٢.

٧ 2014/1/Injaz center, Dramatic Turnover of Arab Mayors: «The Time of Lamenting is Over, 29, available at : http://injaz.org.il/?p=1978 (آخر مشاهدة 2014/2/25).

٨ للاستفاضة راجع/ي مها التاجي دغش، «الانتخابات المحلية العربية: هيمنة الحمولة وتراجع الحزبية»، أوراق دراسات طبعة متوفرة الكترونيا: http://www.dirasat-aclp.org/arabic/files/kitab2012-dirasat-10.pdf (أخر مشاهدة ٢٠١٣/٢/٢)

٩ انظر «موقع بكرا»، بروفيسور غانم، انتخابات السلطات المحلية ولّدت نكبة تشبه نكبة ٤٨ ، تاريخ النشر ٢٠١٣/١١/٢. http://bit.ly /1fUGlKu (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤)

١٠ للاستفاضة حول تردي العمل السياسي في الانتخابات المحلية الرجاء مراجعة
As'ad Ghanim ,»The Arab Local Government in Israel: Partial-Modernization as an Explanatory Variable for Shortage in Management», Local Government Studies, Vol. 35, No. 4, 2009, pp.457473-
راجع كذلك مها التاجي دغش، مصدر سبق ذكره ٦ أعلاه.

١١ للاطلاع على جزء من نتائج استطلاع مدى الكرمل حول أنماط التصويت للانتخابات المحلية انظر/ي: http://bit.ly/1oj26nY /(آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

١٢ أسعد غانم، «الانتخابات المحلية ودلالاتها، هل من جديد؟»، صحيفة أمجاد العرب الألكترونية، على الرابط التالي:
http://www.amgadalarab.com/?todo=view&cat=9&id=00019784 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٣/٢).

١٣ نهاد علي في مقابلة مع موقع بكرا ٢٦/١٠/ ٢٠١٣ على الرابط التالي: http://bit.ly/1dSseBg (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٢/٢).

١٤ انظر/ي مقابلة مع د. مهند مصطفي ود. أيمن اغبارية مع صحيفة حديث الناس، ٢٠١٣/٩/١٣ ، راجع كذلك مها التاجي دغش، مصدر سبق ذكره.

١٥ في كل ما يتعلق في نتائج الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في الانتخابات السلطات المحلية الأخيرة، حصلنا على تقرير من الجبهة. التقرير موجود لدى الكاتب.

١٦ انظر/ي مثلا بعض المقالات الوارد نشرها في موقع الجبهة؛ http://www.aljabha.org/index.asp?i=81047، و http://www.aljabha.org/index.asp?i=80758، و http://www.aljabha.org/index.asp?i=80422 (اخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

١٧ انظر/ي محمد نفاع، «التراجع في الانتخابات – الأسباب، النتائج والاستنتاجات»، موقع الجبهة الالكتروني، على الرابط التالي: http://www.aljabha.org/?i=80758 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٢/٣).

١٨ انظر/ي موقع عرب 48، التجمع الوطني يخوض الانتخابات للرئاسة والعضوية في عشرات المواقع، 21/10/2013 http:// www.arabs48.com/?mod=articles&ID=103154 (اخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

١٩ انظر/ي موقع عرب ٤٨، التجمع يضاعف قوته في انتخابات السلطة المحلية ٢٠٠٨/١١/١٣. http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=58409 (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٢٠ تحليل نتائج الانتخابات المحلية، لمركز إنجاز – المصدر السابق.

٢١ عضو الكنيست حنين زعبي ترشحت لرئاسة بلدية الناصرة.

٢٢ مقالة للصحافي وديع عواودة، بعنوان «ورق أيلول» نشرت في صحيفة حديث الناس، ٢٠١٣/٩/٢٧.

٢٣ تقرير إنجاز، المصدر السابق.

٢٤ تعتمد المعلومات بالأساس على ورقة أورن يفتاحئيل، نشأة الحيز البدوي في النقب، أراض وقرى وحقوق – ملفات مدى، ملف رقم ١، ٢٠١٣. على الرابط التالي: http://mada-research.org/wp-content/uploads/2013/11/Prawer_Plan_oren1.pdf (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٢٥ م.س .

٢٦ م.س. ص. ٦.

٢٧ أنظر أحمد أمارة – مخطط/ات لتوطين البدو في النقب– ملفات مدى، ملف رقم ١, ٢٠١٣ ص. ٣ متوفر على الرابط التالي:
http://mada-research.org/wp-content/uploads/2013/11/Prawer_Plan_ahmad_amarah.pdf (اخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٢٨ راجع تقرير اللجنة على الرابط التالي /http://www.moch.gov.il/SiteCollectionDocuments/odot/doch_goldberg

Doch_Vaada_Shofet_Goldberg.pdf (بالعبرية) (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٢/٢)

٢٩ أنظر/ي أحمد أمارة، م. س. ص4 .

٣٠ يمكن مراجعة مجلة عدالة الإلكترونية، العدد 104، أيار 2013، على الرابط التالي: http://bit.ly/1cwGEMB (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٢/٢٨).

٣١ المعلومات أخذت من مركز «عدالة» – المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل.

٣٢ انظر/ي ملفات مدى – مقال مخطط برافر ملف رقم ١، ٢٠١٣، م .س.

٣٣ انظر/ي مجلة عدالة الالكترونية، العدد رقم ٩٢، نيسان ٢٠١٢، عواودة ٢٠١٣: http://adalah.org/newsletter/eng/20Arabic%20Final.pdf%apr12/docs/Interview%20with%20Thabet%20Prawer%20April%20201 2 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٣٤ انظر/ي « عرب ٤٨»، الفلسطينيون يستغلون مخطط برافر لإحراج إسرائيل دوليا ، على الرابط التالي: http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=104047 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٣٥ م.س.

٣٦ راجع /ي مثلا: علاء حليحل ، ملاحظات على سقوط مخطط برافر – ١٤\١٢\٢٠١٣ – على الرابط التالي: http://www.qadita.net/2013/12/14/ala-prawer/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٣/٢).

٣٧ وفي الجامعات الأخرى جرت آخر الانتخابات عام ٢٠٠٨. للاستفاضة يرجى مراجعة تقرير الصحافي ربيع عيد بعنوان الحراك الشبابي في الداخل الفلسطيني والأفق المطروح . نشر في «عرب ٤٨»، http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=86724 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٣/٢).

٣٨ لجنة التنسيق للطلاب العرب تحل مكان لجنة الطلاب العرب في جامعة حيفا http://almasar.co.il/art.php?ID=٣١٠٩٧ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٣٩ نماذج عن عمل التوجيه المهني لروابط الأكاديميين، موقع «إذاعة الشمس»، رابطة الأكاديميين عيلبون يتواصلون مع الطلاب في المرحلة الثانوية، ٢٠١٣/١٢/٧، على الرابط التالي: http://bit.ly/1fBD2mP (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨) وأيضا «موقع بانيت»، رابطة الطلاب الأكاديميين بكفر برا تطلق مشروع دعم الطلاب ٢٠٠٩/١٠/٢٦ على الرابط التالي: http://www.S-240370,1,2.html/2/panet.co.il/online/articles/1 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٠ سامية ناصر، «كيف انتزعت الحركة الاسلامية صدارة لجنة الطلاب العرب من الجبهة؟»، مجلة الصبار ، 2008. http://bit.ly/MHuPGI (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤١ خالد عرار، مهنّد مصطفى وقصي حاج يحيى، تحولات في التعليم العالي والتمكين الاقتصادي لدى الطلاب الفلسطينيين في البلاد، جمعيّة التوجيه الدراسي للطلبة العرب. متوفر على الرابط التالي: http://bit.ly/1kpYCTp (اخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٢ مشروع عطاء، جمعيّة بلدنا http://www.momken.org/vol/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨)

٤٣ أي نماذج عن نشاطات «حق» من موقع الشبكة الأورو–متوسطيّة لحقوق الإنسان انظر/ي: http://bit.ly/1pSKx1z (اخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٤ انظر/ي موقع بيت الموسيقى، http://www.beit-almusica.org/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٥ انظر/ي «فيسبوك»، المشغل للثقافة والفنون https://www.facebook.com/almashghalhaifa (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٦ انظر/ي http://polyphonyfoundation.org/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٧ انظر/ي موقع، قديتا، http://www.qadita.net/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٨ انظر/ي «فيسبوك»، دار الثقافة والفنون الناصرة http://on.fb.me/1gMkz9J (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٤٩ انظر/ي «فيسبوك»، ما بين وبين http://on.fb.me/1eKtgTX (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٠ انظر/ي صالة العرض للفنون– أم الفحم تسعى إلى أن تكون موطنا للفنانين الفلسطينيين والعرب في إسرائيل وخلق نقطة لقاء لحوار هادف بين الثقافات http://myschool.co.il/galleryarb/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥١ انظر/ي صالة العرض للفنون أم الفحم http://myschool.co.il/galleryarb/?page_id=25683 (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٢ انظر/ي «فيسبوك»، المنشر – فن وإنتاج https://www.facebook.com/elmanshar (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٣ انظر/ي «فيسبوك»، الورشة – مساحة فنية https://www.facebook.com/alwarsha.arts (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٤ انظر/ي «فيسبوك»، المحطة – تعاونية شبابية فلسطينية https://www.facebook.com/Almahata.Haifa (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٥ https://www.facebook.com/groups/141173595997826/ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٦ انظر/ي «فيسبوك»، اليكا https://www.facebook.com/elika.artbarcafe?fref=ts (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨).

٥٧ انظر/ي صفحة حركة» الدبكة» على الفيسبوك https://www.facebook.com/ministryofdubkey?fref=ts (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨). وعلى اليوتيوب: http://bit.ly/OSj3eC (اخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨)

٥٨ انظر/ي موقع «دام راب»، www.damrap.com (آخر مشاهدة ٢٠١٤/٠٢/٢٨)

٥٩ انظر/ي زعرودة ١٥ تشـــرين الثاني ٢٠١٢ دبكة «الدام» علقمر والارض http://zaghroda.blogspot.co.il/2012/11/-blog-post.html (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٦٠ انظر/ي «قديتا نت»، جوان صفدي يغني «في حضن الاحتلال» http://www.qadita.net/2014/01/21/fishsamak/ (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٦١ انظر/ي «يوتيوب»، كيان – عدي كريم يستضيف مي نصر – لنا لقاء http://www.youtube.com/watch?v=RQf2vrV3iz8 (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٦٢ انظر/ي «يوتيوب»، دام تستضيف رشـــيد طه http://www.youtube.com/watch?v=2BjmEmoEzRw (آخر مشاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).

٦٣ أنظـــر/ي «يوتيـــوب»، بـــاي بـــاي جيلـــو http://www.youtube.com/watch?v=Gc_nPZGbl60 (آخـــر مشـــاهدة ٢٨/٠٢/٢٠١٤).